انطباعات

لفضيلة الاستاذ السيد محمد تقي الحكيم

ليس من السهل أن يملأ المنصب الروحي وان يعطي حقه الطبيعي من ادارة حازمة ، الى كياسة مستقيمة ، الى علم وافر ، الى ارتباط روحي بالمبدأ الاول ، واجتماع هذه الصفات في شخص ربما يكون ضربا من الاعجاز ، ولله في خلقه شؤون

وسماحة المغفور له الشيخ محمد رضا كان من اولئك الذين توفرت فيهم هذه الصفات وملؤا الدست بجدارة تبعث على الاعجاب ، فقد كان (ره) مع علمه الوافر ذا شخصية قوية حافلة باهم مقومات الشخصية الموفقة ذاتية وموضوعية :

جسم ممتلأ نشاطا وحيوية ـ على مافيه من امراض مزمنة ـ ، ووجه فيه صباحة وبشاشة وبشر ـ على رغم مايعتلج في نفسه من الآم ـ ، وطلاقة لسانه تشعرك بقوة شعوره بذاتيته وبتمكنه مما يطرقه من احاديث ، وجاذبية يحسن ان يهيمن بها عليك فلا يتركك تفلت من سحرها الأخاذ الا وانت مأخوذ بضرورة العودة اليها والخضوع لتأثيراتها ، وواقعية ـ مع ذوق ـ تلمسها في حديثه الجدي في نكاته وفكاهاته ، وفي حركاته وسكناته ، في كل شيء يبدو منه حتى كأنك ـ وانت تتلمس هذه الناحية في شخصيته تشعر ان الرجل كان يحس كل ما يصدر منه احساسا عميقا لاغبار عليه وانه كان لايصدر الا عن هذا الاحساس في جميع مايلاحظ فيه .

وهذا في الحقيقة هو مفتاح شخصيته الكريمة الذي تستطيع ان تفهم به الرجل على حقيقته

كان يقتنع بالفكره فيجهر بها ولا يهمه ان يصطدم بعواطف الآخرين وإن ادى ذلك به الى التضحية بصداقاتهم المؤكدة اذكر على سبيل المثال قضية واحدة غير بعيدة على ما اعتقد عن اسيادي الحاضرين :

في قضية لجنة الوعظ والخطابة التي حاول ان يقوم بها جماعة من افاضل الخطباء من اعضاء منتدى النشر في النجف ولم تفهم على وجهها السافر لدى الرأي العام اذ ذاك ذهب جماعة من الناس اليه ليعلن تفسيق هؤلاء القائمين بها وليسحب ولده من كلية المنتدى ـ وكان من طلابها اللامعين ـ وكانت القضية في فورتها فما كان منه رحمه الله الا ان جبههم برد لاهوادة فيه ثم شرح لهم الاهداف الدينية التي توخاها منتدى النشر في قيامه بهذا العمل الجليل على نحو ماهو معروف

وكان معنى ردع هؤلاء على هذا النحو اذ ذاك هو المقاومة للرأي العام والتضحية بصداقات هؤلاء الوسطاء

ولهذه القضية نظائر لايعدمها الباحثون في سيرته الكريمة ، وعلى هذه الواقعية ينزل كثير من جهر به من فتواه في رسالته وغيرها اذكر اني سألته ـ مرة ـ هل يجوز صرف حق الامام في شراء كتب الأدب للطلبة فاجابني رحمه الله ـ بما مؤداه ـ وما يمنع من ذلك افتعتقد ان الامام لايرضى لطالب العلم ان يكون واسع الافق يفهم الكلام البليغ ويحسن صياغته ويعلمه في اداء رسالته الدينية ، والحق انه كان من من الفلائل الذين ينظرون الحياة من زاوية واسعة تتناسب الى حدما مع النظرة التطورية التي يقتضيها هذا العصر مع محافظة تامه على الاسس الشرعية في هذا الباب

وحكمة فيك لا تبقي العقول لها ولا الفضيلة للتدليل برهانا
تفننت في رياض النفس وانفجرت علماً تطيب به الدنيا و عرفانا

* * *

انت يافرعه الزاكي الذي نظرت عين الرجا بك للآمال «انسانا»
خذها اخي دموعا قد مسحت بها دموع عينك سلوانا وتحنانا
فانت هوى العلم الاعلى ففيك لنا معنى تقدسه الارواح فرقانا
سر الى الغاية القصوى بعزم فتى يرى الحوادث للآمال ميدانا

احمد الدجيلي

وبعد هذا ربما يكون من اهم مظاهرها هو بعده عن الفردية في اعماله فقد كان يشعر ان التعاون مع زملائه أو تلامذته في الازمات اجدى واوصل الى حلها والقضاء عليها وكثيراً ما كان يفزع الى بعض لداته من الاعلام ليستشيره في مايعرض له من مهمات وربما طلب اليه ان يوحد النظرة أو الحل اذا كانت الازمة مشتركة بين الطرفين ، وهذه نقطة حساسة في تاريخ حياته كان يمكن ان يحسب لها الف حساب لو قدر لهذه الروح الطاهرة ان تسايرنا مدة اطول فما احوجنا الى هذه الروح التعاونية في ظروفنا الحاضرة التي كادت ان تأتي على مبادئنا ونحن نعمه في غياهب الفردية المظلمة

وهنا ارجو ان تسمحوا لي بشيء من الاستطراد المؤلم اثاره في تداعي المعاني

لفتني في الدعوة الموجهة الي للمشاركة في هذا التأبين توقيعها باسم « الهيئة العلمية » فسررت للغاية لهذا التوقيع ثم عدت الى نفسي فسألتها — بشيء من المرارة — احقا لنا هيئة — بمعناها الصحيح ؟ مع ان الهيئة من لوازمها التفكير والعمل المجموعيين واذا كان ذلك فاين المظاهر لها ولم بلغ بنا الحال إلى اسوء مايتصوره العقل من التردي ؟!

ما ادري هل استطيع ان اصارحكم ايها السادة بان وضعنا لايبشر بخير مادامت هذه الفردية تطغى على جميع اعمالنا وتفكيراتنا افتريدون ان نقابل هذه الكتل التي ازدحمت علي غزونا من حيث تشعر ولا تشعر بتلكم الاعمال الفردية المشوشة

هذه النهضة الحديثة بتعاليمها المادية التي تخطف ببريقها الابصار لم تبق لنا عدة نستطيع ان ندفع بها انفسنا — باعتبارنا روحيين — وحسبها ان تمهد الى اولادنا. فتأخذهم منا ولا نملك الى ردهم سبيلا بل حسبنا ان تشيع فينا نغمة « المستقبل » فنبعث باولادنا الى احضانها لتحفظ لهم مستقبلهم المادي فكان المستقبل منحصر بتلكم الطريق

تأملوا يا اسيادي هذه الحوزة بعد مرور عدة من السنين كيف يغدو حالها — لاقدر الله — اذا سارت الامور على هذه الوتيرة أفترجوا لها ان تستقيم واولادنا حرب علينا مع اعدائنا وبايديهم السلاح .

ان الامر جد ياسادة فلا تقابلوه بهذا التخاذل اعمدوا الى حياتكم مجتمعين فنظموها واكفلوا من طريقها المستقبل لاولادكم والله يكفل من ورائكم الارزاق للجميع

ثم عودوا الى عملكم الاصلاحي فنظموه فالعالم يرجو لكم ان تغزوا بلد الغرب بتعاليمكم فعندكم والحمد لله دين لايتطرق اليه النقد وهم اسرع ما يكونون الى تقبله اذا حصل من ينشره بينهم على وجهه الصحيح كما حدث جل من خبر الحياة هناك

هذا الازهر سبقنا الى بعث المبشرين الى قسم من جهات الغرب ونجح بتبشيره الى حد بعيد وبقينا نحن نتراشق بالعواطف الشخصية كما بقيت رسالتنا معطلة لاتجد من يقوم بها — على وجهها الصحيح — حتى في محيطنا الخاص والا فاين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما وظيفتنا قبل كل احد وقد طبقت المفاسد علينا الافاق

قولوا ياسادتي اننا لانستطيع ان نعيد كياننا الروحي مالم نجتمع — على قادتنا الاعلام — ونفكر ونعمل مجتمعين كما قلنا باخلاص فقديما قيل « ان يد الله مع الجماعة » وبذلك فقد نستطيع ان ندعي لانفسنا الحياة ونستطيع ان نقول ان لنا هيئة يمكنها ان تقوم برسالتها الاصلاحية على احسن وجوهها. حقق الله لنا ذلك وحفظ لنا قادتنا الاكفاء وعوض علينا خسارتنا بالراحل العظيم باشياخنا الاعلام من آل ياسين وابقى لنا الاخ الزكي خلفا وسلوة والهمه مع اسرته وجميع المسلمين الصبر والسلوان والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد تقي الحكيم